

## الفصل السابع

### الدراسة في ضوء تداعيات حركة ١٩٦٣

يغطي هذا الفصل الفترة من ١٩٦٣-١٩٦٥. ويتضمن ثلاثة أقسام : أولها : مواصلة الدراسة الجامعية في مصر. ثانيها : هجرة المهاندة إلى الكويت. ثالثها : منعي من دخول مصر وتوابعه.

## مواصلة الدراسة الجامعية في مصر

قضيت الاجازة الصيفية في قطر بين الأهل والأصدقاء في الظروف الصعبة التي شهدتها قطر في صيف عام ١٩٦٣. وهي ظروف حزينة بسبب السجن والفصل والإبعاد الذي تعرض له عدد من القطريين دون محاكمة او مراعاة لأهل قطر.

عدت إلى القاهرة في نهاية العطلة الصيفية لمواصلة الدراسة على حسابي الخاص، بعد أن فصلت من البعثة الدراسية بسبب مشاركتي في بيان طلاب القاهرة المؤيد لحركة ١٩٦٣ والمستنكر للاعتقالات. واصلت الدراسة في السنة الثانية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية حيث اخترت شعبة الاقتصاد بالكلية وانهمكت بكل جد في الدراسة وإعطاء كل جهدي لها.

أحببت علم الاقتصاد لما فيه من إمكانيات تحليلية تشد الفكر منذ أن درست مبادئ الاقتصاد السياسي على يد رفعت المحجوب، فوجدت إلى جانب رفعت المحجوب في السنة الثانية في قسم لأقتصاد أساتذة كبار منهم : عميد الكلية زكي شافعي يدرسن النقود والبنوك وسعيد النجار يدرسن التجارة الخارجية ورياض الشيخ يدرسن نظرية القيمة وعدد من الاساتذة الكرام.

لم يكن معي في الكلية من الزملاء القطريين سوى أحمد السويدي الذي اختار قسم العلوم السياسية بعد أن غير أحمد الخال بلد الدراسة وذهب إلى سوريا ومن ثم إلى العراق للدراسة هناك. ومن زملاء الدراسة الآخرين في السنة الأولى لم يبق معي في قسم الاقتصاد سوى غيث سالم سيف النصر، بعد أن اختار خالد بن أحمد الخليفة قسم العلوم السياسية.

\*\*\*\*\*

اندمجت في الدراسة وحرصت على القيام بالبحوث ما أمكن. ومن حسن الصدف اختياري النفط موضوعا لبحثي في إحدى مواد الدراسة، مما جعلني أرتاد مكتبة الجامعة الأمريكية في القاهرة بحثا عن مراجع حديثة في اقتصاديات النفط. وهناك وجدت ضالتي التي تمثلت في بحوث مؤتمرات البترول العربي الثلاثة الأولى، وقد فوجئت وسعدت بما ضمنته مجلدات كل مؤتمر من بحوث تتناول جوهر المشاكل الاقتصادية والصناعية والإستراتيجية التي تواجه صناعة النفط العربية، ذات الأهمية المستقبلية للعرب بشكل عام وللدول العربية المصدرة للنفط على وجه الخصوص.

عند إطلاعي على مجلدات مؤتمر البترول العربي، وجدت أنها تناولت النفط العربي من حيث الأهمية الإستراتيجية، ومن منظور توطين صناعة النفط وتقنياتها وإدماجها في اقتصاديات الدول المنتجة والاستفادة القصوى من امكانيات الثروة النفطية في التنمية.

كما لاحظت اهتمام مؤتمر البترول العربي بالعلاقة غير المتوازنة بين الدول المصدرة للنفط والدول المستهلكة له. وكذلك تركيز بعض بحوث المؤتمر على تضارب المصالح بين الدول المنتجة

وشركات النفط، والدعوة للتفاوض حول اتفاقيات النفط التي تناولت بعض بحوث المؤتمر أوجه الاجحاف فيها وضرورة تصحيحها.

ومن بين تلك البحوث الغنية شدتني بحوث عبد الله الطريقي حول أسعار النفط، فاخترت أسعار النفط وأضفت إليها طريقة تقاسم أرباحه بين الدول المنتجة وشركات النفط، موضوعاً لبحثي في كلية الاقتصاد الذي جئت مكتبة الجامعة الأمريكية في القاهرة أبحث عن مراجع له.

ومنذ ذلك الوقت أصبحت اقتصاديات النفط وعائده وإمكانياته التنموية والعلاقات بين الدول المنتجة للنفط والدول المستهلكة له وشركات النفط الكبرى العاملة في المنطقة، مركز اهتمامي ومتابعتي. ولعل هذه البداية هي من بين ما دفعني إلى اختيار "عائدات النفط في امارات الخليج العربي : نمط تخصيصها وانعكاساتها على التنمية الاقتصادية" موضوعاً لرسالة الدكتوراه التي بدأتها في جامعة درم بانجلترا في عام ١٩٧١ ونلتها عام ١٩٧٤ (١).

ولا يفوتني ان أذكر كم كنت حزينا عندما أوقفت الجامعة العربية ومنظمة الأقطار العربية المنتجة للبترو (الاوابك) انعقاد مؤتمر البترول العربي عام ١٩٧٤، واستعاضت عنه بمؤتمر الطاقة العربي الذي لم يعد عربي الاهتمام ولا الحضور.

وذلك عندما تحول التركيز عن طبيعة النفط الناضب وضرورة بناء قاعدة اقتصادية بديلة له من خلال توطين صناعته وتنمية الصناعات القائمة عليه واستيعاب تقنياتها وتنمية الكوادر الوطنية العاملة فيه والاستفادة من إمكانيات النفط في التنمية التي ركز عليها مؤتمر البترول العربي، إلى مجرد طاقة حسب اهتمام مؤتمر الطاقة العربي، يجب تأمينها للدول المستهلكة بصرف النظر عن القدرة الاستيعابية المنتجة للدول المصدرة.

ومن الأمنيات التي أرجو أن يعينني الله على تحقيقها أو يهيئ لها من يتبناها، هي إعادة فكرة مؤتمر البترول العربي من جديد، في شكل مؤتمر أو ندوة تسعى لتنمية الوعي العربي بأهمية الاستفادة من إمكانيات النفط والتنبيه إلى خطورة استمرار الاعتماد عليه. تلك الخطورة التي كثر الكلام حولها وقلّ العمل من أجل مواجهتها، ليعيد العرب عامة وشعوب وحكومات الدول المصدرة للنفط خاصة، اهتمامهم الذي فقدوه بالنفط بوصفه مورداً استراتيجياً ناضباً يجب تحويل امكانياته المالية والصناعية والإستراتيجية إلى مداخل أساسية في عملية تنمية مستدامة قادرة على بناء قاعدة اقتصادية بديلة للنفط، عندما تتراجع حتما مساهمة عائدات النفط في مختلف مصادر الدخل بسبب النضوب المنتظر أو لأي سبب تقني أو اقتصادي أو سياسي آخر.

\*\*\*\*\*

عندما عدت إلى القاهرة كان زميلي في السكن في شقة حي المهندسين القريبة من مزلقان بولاق الدكتور أحمد عبد الله المنصور قد أنهى دراسته في مصر وعاد إلى قطر، فانضم إلي في السكن الصديق حسن نعمة الذي بدأ دراسته في كلية الآداب في جامعة القاهرة في ذلك العام.

كان حسن مبتهجاً بوجوده في القاهرة مستعداً لحياتها الثقافية والاجتماعية ومتهيناً للتفاعل مع ألكتاب والأدباء، محلّقاً بشعره منبهراً بقاء من كان يسمع عنهم من أساتذة وكتاب ومتقنين بعد أن أصبح

قريباً منهم ومنخرطاً في حلقات تفاعلهم. ولذلك صدم حسن أشد صدمة عندما منع من دخول مصر مثل عدد كبير من الطلاب العرب، عند عودته من الاجازة الصيفية من قطر في سبتمبر عام ١٩٦٤. ولم تعوضه بيروت التي انتقل للدراسة فيها في جامعة بيروت العربية، من تلك الصدمة التي افقدته متعة الجو الادبي والفكري للقاهرة في ذلك الوقت.

عشنا في القاهرة حياة الطلبة الاعتيادية مستمتعين بما نحن عليه، وتفاعلاً مع محيطنا وكنت حريصاً على عدم الزج بنفسي في الصراعات السياسية، وان كنت قد ترددت مع بعض الزملاء على ندوات وشاركت في قراءة كتب هامة وتلخيصها وعرضها على مجموعة صغيرة من الزملاء.

وأذكر انني قرأت كتاباً مترجماً لدوجلاس نائب رئيس جمهورية يوغسلافيا، المسجون بسبب ذلك الكتاب الذي يحمل عنوان "الطبقة الجديدة" ويعني بها اصحاب السلطة والنفوذ في نظم الحكم الاشتراكية ذات التخطيط الشامل المركزي السائدة في الاتحاد السوفيتي والمعسكر الشرقي ويوغسلافيا في ذلك الوقت، والتي تسعى إلى إلغاء الطبقات ولكنها في الواقع تقيم طبقة جديدة تتحكم في الدولة والمجتمع. كما قرأت في تلك الفترة او بعدها بقليل كتاب منيف الرزاز "معالم الحياة العربية الجديدة" وكتاب عبد الله عبد الدائم "القومية والإنسانية" وكتاب ناجي علوش "الثورة والجماهير". وفي سياق هذه المجموعة توطدت علاقتي بعدد من طلاب البحرين منهم علي صالح الصالح رئيس مجلس الشورى في البحرين حالياً وعبد الرحمن يوسف فخرو العضو البارز في غرفة تجارة وصناعة البحرين في الوقت الحاضر.

وبعد فترة قصيرة من السكنى في شقتنا القديمة سئمت لنا فرصة الانتقال إلى شقة أخرى في شارع أحمد مسعود بحي الدقي، بعد أن أخلاها زملاؤنا عبد اللطيف الجابر مبعداً من مصر وجاسم زيني بسبب رغبته الانتقال إلى كلية الفنون الجميلة في جامعة بغداد بعد أن جرب حظه في الطب والحقوق ولم توافق أي منهما طبيعته الهادئة الحالمة وموهبته الفنية المتميزة. وبهذا الانتقال أصبحنا على مقربة من جامعة القاهرة لا نحتاج لأكثر من عشر دقائق مشياً على الاقدام للوصول إلى كليتنا. كما أصبحنا في وسط منطقة يسكنها الكثير من الطلاب العرب وفيها أندية وروابط طلابية عربية نشطة، إضافة إلى قربها من وسط البلد والمسارح والسينمات والمطاعم حيث نقضي سهرتنا فيها في نهاية الاسبوع.

كان علي بحكم شح الامكانيات المالية، أن أجم رغبة حسن نعمة في الصرف وشراء الفواكه الغالية وأكتفي بما هو أساسي من الطعام ومنه الارز واللحم والخضار. لذلك كان الشهر الذي أمسك فيه مصروف البيت، شهراً متقشفاً فلا أشتري من الفاكهة عند الضرورة إلا فاكهة الموسم معتدلة الثمن. أما في الشهر الذي يتولى فيه حسن مصروف البيت فإن المصروفات تزيد ويذهب معظم الميزانية إلى شراء ما لذ وطاب من الفاكهة او " الميوه " كما يسميها حسن، على حساب الأساسي من الطعام.

وكانت مشكلتي هي ميزانية الكتب فحسن محبٌ للكتاب، يرتاد المكتبات ويقضي أوقاتنا على سور الأزبكية والمكتبات القديمة يتصيد فيها الكتب القديمة النادرة، وكان ذلك يشعرني بالحرمان فميزانيتي لا تكفي للشراء عندما أرافق حسن. وذات مرة سألتني حسن إن كنت أريد كتاباً من سور الأزبكية فقلت له نعم أريد كتاب "الاحصاء في علم ما استعصى"، وكنت أمزح معه إلا أن حسن أمضى وقتاً طويلاً

يبحث عن ذلك الكتاب وسط استغراب البائعين الذين لم يسمعوأ بهذا العنوان وإن كانت نعمة العنوان ليست بغريبة على عناوين الكتب القديمة التي يعرضونها.

ومن الصدفة الجميلة أن التقينا في القاهرة بالعم محمد بن راشد الخاطر وابنه راشد الذي أصبح منذ ذلك اليوم أماً لم تله أمي كما يقال، وهو من أعز الأصدقاء وأقربهم إلى نفسي حتى اليوم. كان أبو راشد يزور القاهرة مع ابنه راشد البالغ من العمر حوالي ١٧ عاماً للعلاج ولإجراء عملية اللوز لراشد. وقد قضينا معهما أوقاتاً طيبة زرناهم في المستشفى وبادلونا الزيارة في شقتنا في الدقي وسعدنا بهما في غربتنا.

استمرت علاقتي بالأب صديق الشباب، وابنه راشد وبقية أبنائه وعدد من آل خاطر الكرام من أهل الوكرة ومن أهل الجبيل في المملكة العربية. وبعد العودة لقطر، ومن خلالهم تعرفت إلى الرجل النبيل جابر بن ناصر البوحسين و أهل الوكرة الكرام وقضيت فيما بعد أوقاتاً طيبة مع الشباب نلعب المونوبولي ونطبخ الغبقات في بيت منصور بن محمد ومنصور بن أحمد خاطر قبل زواجهما، بصحبة محمد بن حسين المفتاح وعبد الله حمد والأستاذ عبد الله احمد الذي يلعبه أهل الوكرة بالكويتي.

\*\*\*\*\*

مر العام الدراسي عليّ بين الانهماك في الدراسة ومتابعة الوضع الحزين في قطر وما يصلنا من أخبار السجناء والمبعدين. وفي نهاية العام قدّمت الامتحان ونجحت بتقدير جيد في السنة الثانية بقسم الاقتصاد وعدت إلى قطر في الاجازة ، بينما اختار عدد كبير من الطلاب العرب البقاء في القاهرة حتى انتهاء دراستهم الجامعية خشية عدم السماح لهم بدخول مصر في حال مغادرتها.

كان الأمل يحدوني في أن يعدّ نجاحي بتقدير جيد في قسم الاقتصاد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية سبباً تقدره حكومة قطر ويؤدي الى الغاء قرار الفصل من البعثة الدراسية ورفعته عني أسوة ببعض زملائي، لكي أتمكن من مواصلة دراستي في علم الاقتصاد الذي أحببته حبا جما كما يقال، إلا أن ذلك الأمل لم يتحقق بل دخلت في مرحلة أصعب سوف أتحدث عنها في القسم الثالث من هذا الفصل إن شاء الله

### هجرة المهادة إلى الكويت

كان عام ١٩٦٤ كما سبقت الإشارة ، عاما حزيننا بالنسبة للشعب القطري ، شهد تداعيات حركة ١٩٦٣ وأخطرها هجرة المهادة من قطر إلى الكويت. وذلك بعد أن أجهضت السلطة الحركة وسجنت ثم أبعدت أبرز المشاركين فيها ما عدا ناصر المسند وحمد العطية اللذين ابقتهم السلطة في السجن خشية انتقال صوت المعارضة إلى الخارج.

وقد تمت إجراءات ذلك السجن والإبعاد الذي طال عائلات تعتبر نفسها شريكة في تكوين قطر الحديثه، دون مراعاة للعلاقات التقليدية في المجتمع القطري ودون محاكمة او حتى تحقيق يستجلي الامر، مما جعل أهل قطر عامة والمهادة خاصة يشعرون بالظلم لإستمرار سجن ناصر المسند دون محاكمة، ولما كان يعانيه والده عبد الله بن علي المسند من ضيم جعله يفرض على نفسه العزلة في الخور لا يغادرها بسبب استمرار سجن أبنه ناصر المسند دون وجه حق.

\*\*\*\*\*

وفي هذا العام أيضا شهدت قطر بدء انحسار مساحة تعبير القطريين علنا عن مظالمهم كما اعتادوا، مما أحدث غصة في الصدور وإحباطا عاما، لما اتسمت به عقوبات السلطة من إجراءات قاسية غير مسبوقة طالت شخصيات من مختلف العائلات القطرية، وأسكتت اصوات وجوه العائلات والقائمين على لجان عمال النفط التي اعتادت على التعبير العلني السلمي بصدق وصراحة في مواجهة الحاكم. وذلك خشية الوشاية أو التجسس الذي انتشر والنقل غير الامين لأحاديث المجالس واللقاءات. هذا بعد أن كان التعبير العلني هو ما اعتاد عليه أهل قطر قبل النفط وحتى ذلك الوقت، ولكن السلطة هذه المرة قررت تغيير أسلوب حكمها التقليدي الذي كان يتيح فرصة لدفع الظلم.

وجدير بالملاحظة، ان معظم القطريين منذ بداية عصر النفط قد خضعوا مجبرين لمنطق التمييز بينهم عند إعادة توزيع عائدات النفط، دون أن يقبلوا بذلك التمييز أو يقرروا بالحق في الاستحواذ على المال العام الذي لا يوجد له اساس شرعي أو عرفي في قطر. وقد عبر القطريون عن ذلك الأعتراض عندما أطلقوا تسمية "أهل البيب" ، تذكيرا لإفراد الاسرة الحاكمة أن ما يتميزون به من دخل عال ومستويات معيشة مرفهة تميزهم عن بقية أهل قطر، هو من المال العام ومصدره النفط الذي يحمله الأنبوب (البيب) الذي ينقل النفط من منطقة الإنتاج في دخان إلى ميناء التصدير في مسعيد.

ويؤكد أهل قطر في إطلاق هذه التسمية المستنكرة لتقسيم أهل قطر بين أهل البيب وبقية القطريين، على أن الوصول للحكم في قطر لم يكن بحد السيف وإخضاع السكان لعصبية تعتبر أرض قطر غنيمة لها يتوارثها الأبناء من الاباء، وإنما نبعت السلطة من المجتمع القطري من خلال تراضي ورغبة مناطقه وقبائله وعائلاته. فقد برزت السلطة الراهنة التي استقرت في قطر منذ بداية القرن العشرين معبرة عن تعاضد سائر المناطق والقبائل والعائلات القطرية في الدفاع عن قطر تجاه التهديد الخارجي، ولذلك يعتبر اهل قطر انفسهم شركاء في وطنهم متساويين مع أفراد الاسرة الحاكمة، ولم ينكر عليهم حاكم قبل عصر النفط تلك الشراكة، بل كان يعول عليها في مواجهة التهديدات الخارجية واكتساب الشرعية.

ولكن القطريين بالرغم من قبولهم مضطرين، ذلك التميز البغيض بينهم في عصر النفط، لم يعتادوا على التعرض لهم بالسجن ولإبعاد والفصل والمنع من العمل، انتقاما من كل من رفع صوتا مطالبيا بحق أو أيد من يطالب الحاكم بصدق وصراحة بحق من الحقوق المشروعة. فالمجتمع القطري الذي تكون في القرن التاسع عشر قبل ان تستقر السلطة فيه ، ومفهوم الشعب القطري الذي برز ونمى به الوعي مع عصر النفط (٢)، معتادا على علاقات تقليدية فيها قدر من الاعتبار لأهل قطر، يراعي فيها الحاكم أهل قطر متجنباً إثارة مكونا رئيسيا من مكونات المجتمع القطري ومحجما عن اللجوء للحلول الامنية الجماعية، بل يحل المشاكل ويلبي ما يراه من المطالب دون انتقام ممن يواجه الحاكم بمطالب قبلية أو عمالية او وطنية عامة. وهذا ما شهدته في الغالب العلاقة بين قبائل قطر وعائلاتهما وكذلك علاقة لجان عمال النفط بحاكم قطر، حتى قيام حركة ١٩٦٣.

ولكن للأسف هذه المرة لم يتسع صدر السلطة للمطالب العادلة التي تقدمت بها عريضة لجنة الاتحاد الوطني التي مثلت شخصيات عامة بتأييد ومساندة من عمال النفط، ولم تستجيب السلطة بسرعة لمطلب محاكمة من أطلق الرصاص على المتظاهرين، ولم تلتفت بمن هم في موقع الحديث بأسم العريضة والتفاهم معهم. بل ركنت السلطة بسرعة إلى قوة شرطة قطر بقيادة كوكرن الذي سمى نفسه محمد المهدي والضباط الانجليز الآخرين، بحجة أنها لا تتفاوض تحت الضغط معتمدة في ذلك على تفاهات حكومة بريطانيا الخاصة لعام ١٩٥٨ بحماية الحكم في قطر من أي اضطرابات داخلية، وبدأت تزج في السجن بمن كان عليها الحوار معهم، دون تهم محددة ودون اعتبار للعلاقات التقليدية التي تربط أهل قطر بحاكمها، مما سعد الموقف بدل ان يحتويه.

وفي تقديري ان تصرف السلطة على النحو الذي سلكته لم يكن ممكنا لو لا تأييد سلطة الحماية البريطانية للقمع الذي حصل - بالرغم من اعتراف المعتمد السياسي في قطر بعدالة معظم مطالب عريضة ١٩٦٣ - ، خوفا على مصالحها غير المشروعة من المد القومي العربي في ضوء ما كانت تواجهه بريطانيا في عدن والجنوب العربي آن ذاك. و يمكن متابعة موقف سلطات الحماية البريطانية في قطر ومعرفة حدوده وإجلاء دوافعه، من دراسة الوثائق البريطانية ومراسلات المقيم السياسي في الخليج والمعتمد السياسي في قطر وسفير بريطانيا في الكويت خلال فترة هجرة المهاندة للكويت أواخر عام ١٩٦٤، بشكل خاص (٣). ومثل هذه الدراسة خارج نطاق هذه المذكرات، تحتاج إلى مدى زمني أطول وافق أوسع، وأحيلها للباحثين الشباب الذين عليهم واجب دراسة مواقف سلطات الحماية البريطانية من الحركة العمالية والتحركات الشعبية في قطر من خلال الوثائق البريطانية المتاحة اليوم، خاصة من فترة انتهاء الحرب العالمية الثانية وبدء أنتاج النفط حتى عام ١٩٧٠ عندما نالت قطر استقلالها رسميا.

وكذلك كان هناك تأثير بالغ الأهمية للتسوية التي تمت بين أطراف العائلة الحاكمة في عام ١٩٦٠ وانتقل بموجبها الحكم للشيخ احمد بن علي وأصبح الشيخ خليفه بن حمد وليا للعهد ونائبا للحاكم، على خيار القمع الذي طال أصدقاء وحلفاء للشيخ خليفه بن حمد عندما كان يطالب بولاية العهد خلال فترة حكم عمه الشيخ علي بن عبد الله. وربما يكون الضعف الذي بدأ ينال مصر بعد الانفصال ودخولها حرب اليمن فضلا عن صراع القوى القومية العربية وتشرذمها، قد أضعف الحاضنة العربية المنتظرة لحركة ١٩٦٣ وسهل لحاكم قطر وسلطات الحماية البريطانية إجهاضها.

\*\*\*\*\*

في هذا الجو من الحزن والأسى الذي أصبح يشعر به الشعب القطري تجاه هجمة السلطة المطلقة فيه على المجتمع الضعيف ومكتسباته، بدأت فكرة الهجرة من قطر تمثل مخرجا لدى البعض من الوضع المتدني الذي وصل إليه القطريين ومكانتهم الاجتماعية والسياسية فضلا عن الضيق في سبل الرزق وتدني مستويات المعيشة، كما سبقت الإشارة. ولذلك وجدت فكرة هجرة المهاندة من قطر إلى الكويت في خريف ١٩٦٤ وهي أكبر تداعيات حركة ١٩٦٣، أرضية مناسبة.

والسبب المباشر لهجرة المهاندة كان استمرار حبس ناصر المسند الذي أصبح استمرار سجنه مؤذيا لمشاعر عائلة المسند خاصة وتحديا لقبيلة المهاندة وأهل قطر بشكل عام، مما جعل البعض من أهل قطر يستحضر مفاهيم قبلية سابقة في غير زمانها، ومنها هجرة القبيلة لموطنها عندما تشعر بالضميم الذي لا تستطيع له رداً .

وجدير بالذكر أن مفهوم الهجرة عند القبائل العربية في الماضي لم يكن تركاً للوطن بل هو نزوح مؤقت فحسب، حتى تستطيع القبيلة المهاجرة أن تشعر مصدر الضيم بأهميتها عندما سحبت - بهجرتها - تأييدها له وأنهت تحالفها معه، وربما تعني هجرة القبيلة - في الماضي - استعدادا لعودة مشرفة ترفع الضيم وان احتاجت إلى التحالف مع آخرين للتعزيز من موقفها و قوتها. ويمكننا ان نقارن - مع الفارق - هجرة القبائل العربية في الماضي بمفهوم اللجوء السياسي اليوم، حيث يكون اللاجئين السياسيون رأس الحربة في مقاومة النظام الذي اضطرهم الى الهجرة من أوطانهم .

وحسب تقديري فإن مسألة هجرة المهاندة من قطر مسألة طارئة نشأت عن تطورات الاحداث ولم تكن محسوبة أو مرغوبة في حد ذاتها من قبل من اضطر إليها، ولكنها كانت مظهرا لإنسداد افق الحلول وإصرار السلطة على استمرار سجن ناصر المسند ورفيقه حمد العطية دون تقديمهما لمحاكمة. هذا التعتن من قبل السلطة الحاكمة واستمرارها في سجن ناصر وحمد لمدة ناهزت العامين ونصف بعد أن ابعدت أو أطلقت سراح من سجن معهم، دفع المهاندة مضطرين نفسيا دون تخطيط، الى هجرة وطنهم في وقت لم يعد لهجرة القبائل العربية مضمونها التاريخي ولا البيئة الحاضنة لها.

ويبدو ان حاكم قطر مؤيدا من الاسرة الحاكمة وسلطات الحماية البريطانية، لم يستجب لطلب إطلاق سراح ناصر وأصر على استمرار سجنه دون محاكمة حتى وأن هاجر المهاندة، مما جعل عائلته تشعر بالغبن والضيم وتهدد بالهجرة على أمل الاستجابة لها. وعندما شعر بقية المهاندة وسكان مدينة الخور والذخيرة و كل من يربطه مع حلف المهاندة صلة نسب او جيرة ، بأن هجرة المسند قد اصبحت وشيكة، لم يسعهم إلا التضامن والتهديد بالهجرة معهم، لعل الحكومة تستجيب لطلب فك سجن ناصر المسند وحمد العطية.

ولكن حكومة قطر لم تستجب لطلب إطلاق سراح ناصر المسند، وفي الوقت نفسه لم تقف عانقا أمام هجرة المهاندة ولم تسد باب العودة عليهم، ربما لرغبتها في كسر ما تبقى من إرادة حركة ١٩٦٣ وتوقعها لما سيواجهه المهاندة في الكويت من صعوبات، مشترطة فقط ان يكتب في جواز من يريد الهجرة مع المهاندة بأنه مهندي. هنا اضطر المهاندة وجيرانهم من أهل منطقة الخور والذخيرة الى البحث الجاد عن بلد يهاجرون إليه، واختاروا الكويت لما يتمتع به المواطنون هناك من حقوق اقتصادية واجتماعية وحرية سياسية في عهد عبد الله السالم ودستور عام ١٩٦٣، مقارنة ببقية دول الخليج.

ويذكر من هم على صلة بتلك الهجرة ، أن حوالي ٢٥ شخصية من كبار المهاندة، ذهبوا الى الكويت في سفينة بمحرك (لنج) يملكها عبد الله احمد الجولو ، أحد أهالي مدينة الخور. وفي الكويت قابل الوفد الشيخ عبد الله السالم حاكم الكويت ومسئولين آخرين في حكومة الكويت، الذين رحبوا بقدم المهاندة دون الدخول معهم في التفاصيل التي لم يطرحها الوفد أيضا. فقد كان وفد أهل الخور والذخيرة من المهاندة وحلفائهم معنيا بالترحيب أكثر من اهتمامهم بترتيب حياة النازحين لاحقا في الكويت وما تتطلبه من توفير سكن وفرص عمل مناسبة ومساواة بالمواطنين الكويتيين.

\*\*\*\*\*

عاد الوفد من الكويت ، وبدأت الاستعدادات للهجرة التي لم تكن سهلة على المهاندة ومصدر حزن عميق صامت، للشعب القطري الذي كسرت شوكته وأضعفت إرادته، فعدد المقبلين على الهجرة حمية وتضامنا مع المسند عدد كبير، يشمل سكان مدينة الخور وقرية الذخيرة وقرى داخلية أخرى وبقية المهاندة خارج تلك المنطقة ومن على صلة جيرة أو تحالف أو نسب مع قبيلة المهاندة ومنهم عائلات كريمة من بني هاجر وغيرهم.

وجدير بالذكر أن قبيلة المهاندة من أكبر القبائل القطرية التي كان عدد افرادها حسب تقدير لورمر في دليل الخليج عام ١٩١٣ يبلغ ٢٥٠٠ فرد ولا بد أن عددهم قد تضاعف أكثر من مرة خلال خمسين عاماً .

وإذا كان لي ان أقدر عدد المهاجرين فإنني اعتقد بأنه حوالي ٥٠٠٠ فرد أو ما يقارب ٢٠% من عدد أفراد الشعب القطري آنذاك ، يشكلون حوالي ١٠٠٠ أسرة. فقد هاجر كل سكان الخور والذخيرة و اصبحنا خاليتين من أهلها ولم يبق من المهاندة إلا عدد من الاسر تعد على اصابع اليد. انتقال العاملون من المهاندة في شركات نفط قطر البالغون ١٧٤ فرد من وظائفهم، كما تذكر المصادر البريطانية. وكذلك انتقال العاملون من المهاندة في شركة ثل والحكومة مما أضعف الحركة العمالية في شركات النفط على وجه الخصوص. وتخلّى أعضاء منظمة سيارات الاجرة الوطنية عن مصدر رزقهم ، وأغلق بعض التجار منهم محلاتهم وصفّوا بعض أعمالهم واضطر الطلاب الى ترك مدارسهم بعد اسابيع من بداية العام الدراسي ١٩٦٤/١٩٦٥.

\*\*\*\*\*

كانت أطلال الخور والذخيرة بعد مغادرة المهاندة الكرام، منظرا كئيبياً مأساويماً لمن يمر بهما، بعد ان خلت من سكانها. وقد سمعت والدي معبرا عن شعور عام بين أهل قطر، يردد بصوت خنقته العبارة "حسبي الله ونعم الوكيل، بيوت أهل الخور صارت خرايب"، وكان ذلك الشعور الحزين شعورا عاما سائدا في قطر، لم يتم التعبير عن مقتضياته جماعيا وبشكل علني بسبب الإحباط والضغط الامني الذي ساد قطر في ذلك الوقت. ومع ذلك لم يفت بعض الشعراء القطريين التعبير عن حزنهم علانا، لهجرة المهاندة وأبرز هولا الشعراء سعيد بن سالم البديد المناعي الذي عبر مشكورا عن مشاعر أهل قطر بقصيدة أذكر منها الابيات المختارة التالية :

سهرت ليلي ارقب النجم وأدير فكري على ما صابكم ياهل الخور  
جيت المنازل عقبكم والمقاصير آزت أثارا عقب ما هي قصور  
يادار ما أبقى لهم عاد تأثير قالت حشا ما خلفوا كود لقبور  
شوف المنازل فوقها يلعي الطير من عقب ما غنى بها كل غندور

قلت اخبري يادار عنهم بتقرير قالت نوا يم دبيرة العز والنور

يادار يوم إنك نويتي بتتكير شاموا وخلوا منزل الخور للخور

\*\*\*\*\*

غادر المهاندة قطر في هجرتهم إلى الكويت جماعات جماعات عن طريق البر في الغالب، وكان ذلك في خريف ١٩٦٤. ووصلوا الكويت عن طريق المنطقة الشرقية في المملكة العربية خلال شهر اكتوبر ١٩٦٤، حسب تقديري. أقام بعض المهاجرين في مساكن استؤجرت لهم وخصص لبعضهم بدل إيجار، وسكن معظمهم في حي الرميثية في مدينة الكويت.

ولم يفت صحف الكويت التي تتمتع بحرية النشر في ظل دستور الكويت ومجلس الامة فيها، ان تسجل تلك الهجرة مرحبة بمن أضطر إليها، محملة المسؤولية لحاكم قطر وسلطات الحماية البريطانية فيها ومطالبة بعودة المهاجرين إلى وطنهم للحفاظ على الهوية العربية لقطر التي كانت الهجرة الايرانية تهددها. وذلك بعد تلبية مطالبهم وإطلاق سراج المسجونين وعودة المبعدين. وتشير الوثائق الانجليزية التي سبقت الإشارة إليها، إلى مقالات كتبت في بعض الصحف الكويتية كما تشير إلى مراسلات بين عبد الله السالم وحاكم قطر تنصحه بالاستجابة لمطالب المهاجرين وإعادتهم لوطنهم، ربما تحت ضغط السلطات البريطانية وبعض الدول العربية والجامعة العربية على الكويت من أجل دفع المهاندة على العودة لقطر، إضافة للصعوبات القانونية التي قد تحول دون اكتسابهم الجنسية الكويتية التي يطمحون بها. وتورد المراسلات الانجليزية ترجمة لمقال مطول نشرته مجلة الطليعة الكويتية بتاريخ ٨ أو ٩ أكتوبر ١٩٦٤، يطرح قضية المهاندة التي قدر المقال عددهم بخمسة آلاف نسمة، من منطلقات قومية عربية (٤).

\*\*\*\*\*

رتب المهاندة أمور السكن بشكل مؤقت وقاموا بترتيب أمر مدارس البنات والأبناء الذين التحقوا بمدارس الكويت متأخرين عن موعد بدء الدراسة بعدة اسابيع، إضافة الى مواجهة الاختلاف في مناهج الدراسة خاصة بالنسبة لدراسة اللغة الانجليزية. وبعد ذلك تم التفات المهاجرين الى مسألة العمل وكسب المعيشة، ومواجهة نفقات الايجار بعد ان تنتهي المنح التي اعطيت لهم بشكل مؤقت لمواجهة عبء الايجار.

هنا بدأت المشاكل بالنسبة للمهاجرين تظهر ويزيد عبئها نتيجة عدم وجود تصور لترتيبات العمل والسكن بالنسبة للمهاندّة الذين لم يتطرق لها وفدهم عندما زار الكويت طالباً بالهجرة، ولم يكن لدى حكومة الكويت خطة لتوفير أعمال مناسبة للقدامين، ربما لكثرتهم التي لم تتوقعها حكومة الكويت وحاجتهم الى فرص مساوية لمواطني الكويت بعد ان تركوا وطنهم وأعمالهم.

ويبدو أيضاً ان حكومة الكويت قد واجهت ضغطاً من سفارة بريطانيا في الكويت عبرت عنها مقابلات السفير البريطاني مع وزراء كويتيين أشارت لها الوثائق البريطانية المنوه عنها سابقاً. كما واجهت ضغطاً لأسباب مختلفة من الجامعة العربية لما قد تتركه هجرة المهاندّة الى الكويت ومن قد يتبعهم من أهل قطر، من احداث فراغ سكاني وضعف للوجود العربي في قطر. وكذلك واجهت الكويت ضغطاً من بعض دول المنطقة وخاصة المملكة العربية في عهد الملك فيصل.

الأمر الذي جعل حكومة الكويت تعيد التفكير وتتأخر في توفير سبل الاستقرار للمهاندّة الذين بدأت مدخراتهم تنفذ، وزادت عليهم أعباء المعيشة في الكويت وفاقت قدرة معظمهم على توفير تلك الأعباء. وبعد حوالي ثلاثة أشهر من وصول المهاندّة الى الكويت، والتقاء كبارهم كل يوم في مجلس عبد الله المسند لمعرفة ما يمكن لحكومة الكويت تقديمه لهم من عمل وسكن كي يستقروا، بدأ الصبر ينفد والمدخرات تنضب دون ان يكون هناك حل في الافق لمشكلتي العمل والسكن.

وهنا ادرك المهاندّة- وهم معذورون في ذلك - بانهم لن يتمكنوا من الاستقرار في الكويت وأن عودتهم لا بد منها الى الوطن، فواجهت الصعاب فيه هي الحل. لذلك بدأ رجوع المهاندّة إلى قطر بشكل فردي وفقاً لما تتعرض له كل عائلة منهم من ضغوط اقتصادية. وهنا انفرط عقد التضامن بعد ان اصبح من غير المستطاع ولا من المجدي الاستمرار في تحمل تبعات النزوح من دون نتيجة تترجى.

وذلك ما كان وما يجب أن يكون عليه حال أهل كل بلد في العصر الحديث و ما يجب ان يفكروا فيه. إذ أن تضامن المظلومين داخل الوطن مع بقية المواطنين والمطالبة بالحقوق فيه احدى من الهجرة منه، لاسيما أننا في زمن لم يعد لهجرة القبائل فيه مهما كثر افرادها، تأثير على الحاكم أو تهديد لحكمه في عصر هيمنة الحاكم على عائدات النفط في ظل الحماية الاجنبية. أن هذا زمن تغيرت فيه العلاقات التقليدية واستغنى فيه الحاكم في دول الخليج - بعائدات النفط وقيام الاجنبي بالدفاع عن حكمه، عن المواطنين والمجتمع الاهلي الوطني الذي اصبح الحكام ينظرون إليه باعتباره عبئاً وفائضاً يكلفهم إسكاته التنازل عن بعض من عائدات النفط لتوفير الخدمات وفرص العمل للمواطنين .

كانت عودة المهاندّة من الكويت إلى قطر هي الحل العقلاني في ظل الضغوط على حكومة الكويت والوضع الذي وجد المهاندّة انفسهم فيه، مجرد مواطنين من الدرجة الثانية في احسن الاحوال. ولكن العودة كانت صعبة على النفوس والعزاء فيها تذكّر المقهور، حكمة المثل الشعبي " من خرج من داره قل مقداره " .

وبعد عدة شهور من الفراغ الذي تركه المهاندّة في قطر عادوا ليملأوا الفراغ في قراهم ومنازلهم المشتاقة الى عودتهم ووطنهم الحزين على فراقهم ، بعد ان تحملوا ثمن الحمية والهجرة القبلية في زمن غير زمانهما. وبذلك طويت والله الحمد، فكرة هجرة أهل قطر من وطنهم، وأدرك الجميع أن

عليهم ان يستخلصوا حقوقهم تدريجيا وهم في وطنهم، مهما نجحت السلطة في كسر إرادتهم لبعض الوقت، فالشعوب أبقى من الحاكم الفرد وما ضاع حق ورايه مطالب.

\*\*\*\*\*

في مطلع عام ١٩٦٥ عاد كل من هاجر من المهاندة إلى قطر واستقروا بعد فترة في منازلهم وباشروا اعمالهم والتحق الطلاب بمدارسهم بعد ان انتصف العام الدراسي، باستثناء عبد الله بن علي المسند وأبنائه وعائلاتهم، أولئك ظلوا في الكويت واستقروا فيها حتى لحق بهم ناصر المسند في مطلع شهر ديسمبر ١٩٦٥، بعد أن أطلق سراحه وابتعد من قطر عندما أستشهد حمد العطية في السجن بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٦٥ وخشيت السلطة على حياة ناصر باستمرار سجنه.

أستمر عبد الله المسند وأبنائه في الكويت حتى قيام "الحركة التصحيحية" في قطر عام ١٩٧٢، حيث عاد عبد الله المسند وأبنائه وعائلاتهم بعد ان اتصل بهم الشيخ خليفة بن حمد عندما تولى الحكم في قطر، مرحبا بعودتهم إلى الوطن في عهد "الحركة التصحيحية" التي انتهت حكم الشيخ احمد بن علي وسعت للتخلص من تداعيات حركة ١٩٦٣ التي تصدر الشيخ أحمد بن علي واجهة المشهد فيها ودفع الثمن عندما انعزل عن المجتمع وابتعد عن تطلعات الشعب القطري.

أما ناصر المسند الذي انهمك في اعمال المقاولات في ليبيا متردداً على مصر والكويت، فإنه لم يقبل العودة إلى قطر إلا عام ١٩٧٧ عندما بدت عليه أعراض المرض الذي لاحظته شخصيا وتحدثت مع أحد أبنائه عن أعراضه عند زيارتي للسلام عليه بعد عودته، وظل يكابده لمدة عشرين عاماً منعزلاً عن الناس حتى وفاته في عام ٢٠٠٧، حيث رثيته في مقال نشر وانتشر بشكل واسع باعتباره رمزا وطنيا من رموز حركة ١٩٦٣ (٥).

### منعى من دخول مصر وتوابعه

أبى عام التداعيات والحزن في قطر، عام ١٩٦٤، إلا ان يكون لي فيه نصيب شخصي متواضع من تبعات حركة ١٩٦٣. وذلك حين قررت العودة للدراسة في مصر للسنة الثالثة على حسابي الخاص بعد ان قضيت الاجازة الصيفية في قطر في جوها الحزين، الذي ساد منذ أن أعتقل وأبعد عدد من الموقعين على عريضة لجنة الاتحاد الوطني وازدادت حدته، بدفع المهاندة واضطرارهم للهجرة من قطر وبدء استعداداتهم الفعلية للهجرة إلى الكويت في خريف ذلك العام الحزين.

قررت العودة للدراسة في مصر على حسابي الخاص بعد أن تجاهل الشيخ أحمد بن علي حاكم قطر رسالتي (٦) التي قدمتها له شخصيا بتاريخ ١٩٦٤/٨/٨ دون ان يصحبي - بناء على رغبتى - احد من الاهل أو الأقرباء. ذكرت في رسالتي أن الاسباب التي تذرعت بها وزارة المعارف بقولها أنني ممنوع من دخول مصر عند قطع البعثة الدراسية عني منذ عام، هي أسباب غير صحيحة. وبينت للشيخ احمد بأنني سافرت إلى مصر في العام الدراسي الماضي بعد فصلي من البعثة ولم امنع حينها من الدخول، بل واصلت الدراسة ونجحت بدرجة جيد في السنة الثانية بقسم الاقتصاد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة.

وكنت اعتقد أنني بشرحي المنطقي هذا وإنجازي الدراسي سوف أجد أذنأ صاغية لدى الشيخ احمد الذي أعرفه من قبل، وذلك أسوة ببعض زملائي الذين أعاد اليهم الشيخ احمد البعثة. لاحظت عند شرح وضعي وتقديم طلبي، كأن الشيخ احمد قد فوجئ بأنني مازلت ادرس في مصر على حسابي الخاص بعد ان قطعت عني حكومة قطر البعثة الدراسية، وقال بعد استلام رسالتي والاستماع إلى شرحي " يصير خير ". و" يصير خير "، جملة مقتضبة غامضة تحمل وجهين، أما انها تعني وعدا بالنظر في قضيتي أو إنها قد تحمل وعيدا بان ما قيل عن الابعاد سوف يتحقق.

مرت الاجازة الصيفية ولم اجد استجابة لطلبي ولم يتحقق الوعد كما املت، فقررت العودة الى القاهرة للدراسة على حسابي الخاص في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية إلى حين نيل الشهادة الجامعية والتي لم يبق على نيلها سوى عامان، يعينني الله على تدبير نفقاتهما والتكشف خلالهما. ودعت والدي والأهل والأصدقاء الذين تعاطفوا معي وشدوا من ازري وشجعوني على مواصلة الدراسة بالرغم من الصعوبات.

\*\*\*\*\*

غادرت الدوحة إلى القاهرة عن طريق بيروت في شهر سبتمبر ١٩٦٤. ووصلت القاهرة في مساء اليوم التالي لسفري. وعند وصولي الى مطار القاهرة وتقديم جواز سفري الى الضابط المختص فوجئت بتردده، ثم جاء طلبه مني الانتظار لبعض الوقت. وبعد دقائق أتى ضابط آخر أخذني الى طريق غير طريق الخروج من المطار، أخذني إلى صالة فيها عدد من الاشخاص ينتظرون البت في أمرهم، ولا استبعد ان يكون بينهم مخبرون عرب للتأثير على المنتظرين القلقين من أمثالي في تلك الصالة الكئيبة المشبعة برائحة التدخين والعرق لطول الانتظار، فربما افصحوا أثناء الدردشة مع الموقوفين الآخرين عن اسرار يعرفونها أو مسائل يخشونها، قد تقيدها جهاز المخابرات قبل إبعادهم.

انتظرت صامتا متوقعا التحقيق ومعرفة السبب، ولكن يبدو انه لم يكن هناك سبب وإنما هي محض أوامر بالمنع من دخول مصر، ربما تحقيقا للوعيد الذي سبقت الإشارة إليه، والذي قد يكون وجد طريقه عبر قنوات الاواني المستطرقة لعلاقة رجال الحكومات ببعض، أو ربما كان المنع من الدخول قد جاء من ضمن حملة الإبعاد والمنع من دخول مصر التي تعرض له عدد من الطلاب العرب الدارسين فيها.

جلست صامتا ولم أتبادل الحديث مع بقية الموقوفين من باب الحذر، وبعد ساعات وفي حوالي منتصف الليل أبلغني الضابط المختص بأني غير مصرح لي بدخول مصر، وعلي العودة من حيث جئت صباح يوم الغد على اول طائرة مغادرة إلى بيروت. حاولت اقناع الضابط بضرورة إعطائي مهلة كي أأخذ كرتي وملابسي من سكني في شقة الدقي، وان أحصل على شهادة من الكلية تفيد بنجاحي وبلوغي المستوى الدراسي الذي اجتزته في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وتفصيل العلامات التي حصلت عليها في كل مادة، فمستقبلي الدراسي يتوقف على تلك الشهادة التفصيلية.

لست اذكر اليوم ان كان الضابط قد كشر أو ابتسم مستهزئاً بطلبي حين رد قائلاً بحدة، سوف تغادر غدا صباحا أو توضع في الحجز هنا في المطار، وأنصحك بأن تسافر غدا على اول طائرات الشرق الاوسط المغادرة إلى بيروت. وأردف الضابط هل تريد ان تقضي ليلتك هنا او تحب ان تسكن في فندق المطار على حسابك الخاص تحت مراقبتنا، فقلت له بل اسكن فندق المطار على حسابي الخاص وأمرني الله.

قضيت ليلة وجلة على سرير الفندق، نلت فيها القليل من النوم، أضرب أحماساً في اسداس حول ما يجب علي عمله لمواجهة ذلك الموقف الجديد الذي حرمني من تحقيق حلمي في الدراسة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة. إلى أين اذهب؟ وأي جامعة عربية لديها تخصص في علم الاقتصاد؟ ومن اين لي بالقدرة على نفقات الدراسة خارج مصر، التي كانت الرسوم الجامعية فيها ضئيلة وتكلفة المعيشة مقدور عليها. و فوق هذا كله كيف احصل على شهادة تفصيلية من الكلية تبين السنوات التي اجتزتها والمواد التي درستها والعلامات التي نلتها في كل مادة من مواد الدراسة. سوف اخرج من مصر خالي الوفاض دون كرتي وملابسي وهي كل ثروتي، ودون شهادة رسمية تفيد تحصيلي خلال عامين اجتهدت فيهما ونجحت، تؤهلني للالتحاق بالجامعة والكلية والمستوى الذي أستحقه.

أدركني الصباح وجاء موعد تنفيذ الوعيد وأنا في حيرة من أمري، كل ما أنا متأكد منه هو انني سوف أغادر القاهرة بعد ساعات وعلي التفكير في أمري وإعادة تأسيس حياتي الدراسية وتحقيق طموحي. ومن أجل ذلك علي ان أعود إلى قطر وارتب وضعي من جديد.

بعد تناول الافطار في الفندق استلمني رجل امن وأخذني إلى قاعة المسافرين حيث اشتريت تذكرة إلى الدوحة عن طريق بيروت ذهابا دون إياب، وبعدها انهيت إجراءات السفر وتوجهت من خلال الامن الى الطائرة بصحبة رجل الامن الذي سلمني جواز سفري عند مدخل الطائرة.

أقمت في بيروت في فندق متواضع في ساحة البرج، واتصلت بالزميل عبد اللطيف الجابر الذي انتقل لدراسة الحقوق في جامعة بيروت العربية وسكن في حارة حريك. كما قمت بزيارة هتمي

وسلطان الهتمي من مبعدي حركة ١٩٦٣، في شقتهم في حي المزرعة للسلام وتبادلت الهموم والاهتمامات معهما. وبعد ايام قليلة غادرت إلى قطر لأرتب أموري وأعيد تأسيس حياتي الدراسية.

\*\*\*\*\*

عندما عدت إلى قطر كان أمامي أمران لا بد من انجازهما قبل التفكير في مواصلة الدراسة الجامعية في بلد عربي. أولهما كيفية الحصول على شهادة من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية تفيد اجتياز السنة الثانية بقسم الاقتصاد بالكلية وتبين بالتفصيل المواد التي درستها مع ذكر الدرجات التي حصلت عليها إلى جانب التقدير لكل مادة والتقدير العام للسنة الاولى والسنة الثانية. وتلك الشهادة التي حرمت منها عند منعي من خول مصر يتوقف عليها مستقبلي ومواصلة الدراسة التي تمثل الهدف الاستراتيجي الذي لن أقاوضه بأي بديل آخر.

وبعد تفكير لم يطل قدّرت بأن أفضل شخص أتصل به وأنشد مساعدته في الحصول على هذه الشهادة المصيرية، هو صديقي وزميلي في قسم الاقتصاد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية غيث سالم سيف النصر، ولم يخب ظني فيه. فقد اتصل بي غيث حال وصول رسالتي اليه مؤكدا سعيه الحثيث للحصول على تلك الشهادة ان شاء الله. وغيث ابن عائلة عربية ليبية كريمة ذات مكانة اجتماعية وسياسية في ليبيا وفي مصر، تعتبر مصر وطنا ثانيا لها مثلما هي ليبيا وطنها، وهو راغب وقادر على مساعدتي بالرغم من صعوبة مهمة استخراج شهادة لطالب منع من دخول مصر.

والأمر الآخر الذي كان علي ان أتدبره في قطر هو الحصول على عمل لبضعة اشهر في انتظار وصول الشهادة من القاهرة والبحث عن جامعة وكلية مناسبة، وكذلك من أجل توفير مصاريف و نفقات الدراسة لأتمكن من التفرغ لها.

وعندما بدأت البحث عن عمل وجدت انني لا استطيع أن أعود لعملي في وزارة المعارف فأنا ممنوع من العمل في الحكومة منذ ان فصلت من البعثة الدراسية في عام ١٩٦٣، فبدأت أبحث عن العمل في شركات النفط ولكنني جدت أن أمر منعي من العمل قد شملها وامتد اليها. وهنا سدّت في وجهي سبل العمل المناسب، وليس امامي الكثير من الفرص ولا لدي الوقت الذي يسمح لي بأن افتتح مشروعا تجاريا.

ولكنني لم أياس وطرقت باب كل عمل شريف، وأخيرا وجدته لدى مقاول أمريكي يقوم بأعمال المسح الجيوفيزيائي عن النفط متنقلا في صحراء قطر لصالح شركة نفط قطر، و الذي على ما يبدو لم يبلغه أو لم يشمله أمر منعي من العمل في قطر.

لم أتردد في قبول العمل الذي تطلب مني العيش في خيمة مع فريق التنقيب في منطقة صحراوية غرب شمال قطر، متنقلا من موقع إلى آخر كل شهر تقريبا. كان فريق العمل يتكون من حوالي ٤٥ عاملاً وسائقاً كلهم من القطريين وذلك لندرة فرص العمل الاخرى بالنسبة للقطريين، كانوا يسكنون حوالي ٢٠ خيمة وكانت وظيفتي هي مشرف اداري على مخيم العمال Camp Boss ومهمتي الترجمة و الاشراف على شئون العمال، من مسكن ومأكل وتنقل وصرف رواتب وإجازات وخلافه من الشئون الادارية.

خصصت لي خيمة للسكن لوحدى بينما يسكن بقية العاملين كل اثنين أو اكثر في خيمة واحدة، وقد كانت علاقتي مباشرة مع رئيس الفريق الامريكى الذي كنت اشعر بتعاطفه معي إلى جانب شكه وحذره من علاقتي الطيبة مع العاملين القطريين. وقد عرفت منه ذلك أثناء مرافقتي له إلى الدوحة في سيارته الفولكس واجن التي يملكها، فقد قال لي: اعرف انك غير مرضي عنك من قبل الحكومة ولكن ارجو منك ألا تخلق لنا مشاكل. وقد طمأنته بأنني هنا للعمل لفترة قصيرة حتى تصل شهادتي من القاهرة.

بدأت العمل في شهر أكتوبر ١٩٦٤ وكان موقع العمل قريباً من الجميلية وسط غرب قطر، حيث كنا نقضى ايام العمل من السبت إلى الخميس في موقع العمل، ونذهب من مساء الخميس إلى مساء الجمعة إلى الدوحة وبقية قرى قطر كل حسب سكن عائلته. كان عدد العاملين القطريين حوالي ٤٥ شخصاً بالإضافة إلى ثلاثة من الامريكان يسكنون غير بعيد عنا، في كبائن متنقلة على عجلات مجهزة للسكن المريح ومكيفة، بينما لا يوجد تجهيز مناسب أو تكييف في خيام القطريين وإنما إنارة كهربائية فقط.

وأذكر مرة عندما كنا ننتقل من موقع للعمل إلى آخر في حر بداية الخريف أن الامريكان استقروا في سكنهم حال وصولنا وبمجرد تشغيل مولد الكهرباء، بينما كان علينا نحن القطريين ان ننظف الارض ونبنى الخيام ونوصل تمديدات الكهرباء و ننتظر ساعات حتى يبرد الماء ونقوم بتجهيز الطعام. وفي تلك المرة من مرات الانتقال من موقع إلى آخر، رأيت الامريكان يشربون الببسي كولا باردة من ثلاثتهم وأحسست بعطش شديد ورغبة في شرب الببسي كولا الباردة بشكل لم أشعر به في حياتي من قبل ولا من بعد، ولكن تلك الرغبة الجامحة لم يكن لدي وسيلة لتلبيتها، وأبت كرامتي ان أتوسل تحقيقها.

كان جميع العاملين من القطريين عدا الامريكان الثلاثة، كما سبقت الإشارة . وما زلت اذكر من زملاء العمل أكبرنا سنا وهو عبد الله (بودهيش) الشريم من أهل الرميلة وكان من العائدين من الهجرة إلى المملكة العربية أو البحرين. كان عبد الله ذو معرفة بالإحداث المحلية وهو متحدث لبق يروي لنا الأخبار والحكايات بصوت هادئ متمهل. وكان كثير الذكر لوالده الذي يروي عنه. واذكره مرة يقول " عندي أبو ... " ثم يصمت بعض الوقت من باب التشويق فيرد عليه الحضور أكمل كلنا عندنا (أبهات) أي أباء ، فيكمل " عندي أبو ..... يحب السفر ... يركب الغوص في الصيف ... ويذهب إلى زنجبار ومبابسا والهند في الشتاء ... للتجارة ونقل البضائع من ميناء إلى آخر " . وقد كانت خيمة عبد الله الشريم ملتقى القطريين في المساء يحكي حكاياته والأخرون يشاغبونه حتى تنتهي السهرة حوالي التاسعة مساء استعدادا للعمل المبكر في الساعة السادسة صباح اليوم التالي.

وأذكر من زملاء العمل ايضا علي المحين ومبارك الشمالي من أهل الريان، وعنبر سالم من فريج الهتمي وخميس العدساني من أهل الدوحة وبركات وجابر بن غيث الكواري من فريج بن عمران ومحمد الهديفي وهلال محمد الذي اصبح ممثلاً مشهوراً فيما بعد، وسعيد بن عبدالله الكعبي من قرية المشرب وهندي الكعبي وعدد من الكعبان الكرام من أهل أم الغيلم قرب الغشامية في شمال قطر. وكذلك محمد الملخص وهجاج الهاجري، ومحمد وحسين من أهل سميسمه، ومحمد بن عبدالرحمن وعلي بن ابراهيم المطاوعة الذي ربطتني به صداقة متينة، ربما لتقاربنا في السن وكنت اقضي جزءاً من وقت الاجازة معه في الدوحة. وهناك عدد آخر من القطريين لا تحضرني اسماؤهم الكريمة واعتذر عن ذلك.

\*\*\*\*\*

بعد مدة من العمل مع شركة المسح الجيو فيزيائي في الصحراء، فكرت ان أعمل شيئاً من أجل تعليم العاملين القطريين في المساء، منافسا لجلسات عبد الله بودهيش الجذابة والمسلية. ذهبت إلى وزارة المعارف وطلبت كتب تعليم الكبار من الصف الاول إلى الثالث وأحضرت لوحاً اسود وطباشير، وفتحت المجال لمن يرغب في تعلم القراءة والكتابة وربما التقدم لامتحان صفوف الدراسة الابتدائية. بدأنا الدراسة في الخيمة التي اسكنها بحضور عدد قليل من العاملين للدروس، وكانوا في الغالب ممن لم يدخل المدرسة او يتعلم القراءة والكتابة. وكنت اعطي الفرصة لكل فرد حسب قدرته على التعلم. بدأنا بكتب القراءة للصف الاول ومن استطاع ان يتقدم بدأت معه في دراسة كتب الصف الثاني والثالث.

نجحت محاولة الاستفادة من الوقت الضائع، وبدأ بعض الدارسين يأخذون المسألة مأخذ الجد ويتطورون بسرعة، وطموحهم لنيل الشهادة الابتدائية يتزايد. وقد سعدت بذلك وبدأنا قراءة المجالات إلى جانب الكتب الدراسية حالما يتعلم الدارس القراءة. وقد برز من بين الملتحقين بدراسة الوقت الضائع في خيمتي، عدد من الدارسين الذين واصلوا الدراسة في المدارس الليلية بعد ان تركت العمل معهم والتحققت بالدراسة الجامعية في دمشق، حتى نالوا الشهادة الابتدائية والتحقوا بالعمل الكتابي في الحكومة، اذكر منهم سعيد بن عبد الله الكعبي وهجاج الهاجري اللذين التحقا بالعمل الكتابي في إدارة المياه بحكومة قطر، وذلك بعد بضع سنوات من تلك التجربة البسيطة لكسر حاجز القراءة والكتابة لديهما، حيث نما حب العلم والتوجه للدراسة الليلية. وكنت سعيدا عندما علمت بذلك بعد عودتي من الدراسة الجامعية والتفاني بهما.

ولا يفوتني أن اذكر أن خريف عام ١٩٦٤ قد شهد أمطار "الوسمي" المباركة وفي الشتاء وهي الامطار التي تهطل على قطر بين شهر نوفمبر وديسمبر من كل عام، فظهر الفقع ( الكماة) وكان العاملين في المسح الجيو فيزيائي يعود كل منهم بحصيلة متفاوتة بقدر خبرته في البحث عن الفقع ومعرفة مكانه وتحري مواعده.

وقد جربت حظي في البحث عن الفقع في المناطق المحيطة بمنطقة السكن حيث استطيع المشي، ولم يكن نصيبي من الفقع كبيرا مثل من يذهب بعيدا ويتنقل في مناطق جديدة من يوم إلى آخر. وفي كل الاحوال تمتعت برياضة المشي في الصحراء عندما يكسيها العشب وتخضر الوديان والرياض، وتزهر شجيرات العوسج وتثمر مصعا أحمر، بعد أن يحسب الغشيم أن شجيرة العوسج قد ماتت أثناء فترة الصيف في بيئة قطر والمنطقة الحارقة للأخضر واليابس خلال فترة صيفها الطويل. ولا يفوتني أن أتذكر صفاء فترات التأمل التي استغرق فيها أثناء المشي، والتي لم يكن ينقصها سوى تذكر وضعي بعيدا عن الدراسة، وحالة قطر وأهلها في عام الضيق والحزن.

استمر عملي ذاك منتقلا مع شركة المسح الجيو فيزيائي من منطقة إلى أخرى حتى وصلنا منطقة قريبة من قرية الغشامية التي ولدت فيها حوالي عام ١٩٤١. وهناك تعرفت عن قرب الى خليفة بن ناصر الكواري الذي التقيته عام ١٩٥٣ في الغارية، عندما اجتمع البوكوارة لتقديم عريضة يطالبون فيها حاكم قطر بنصيب من عائدات النفط. توطدت علاقتي بالوالد خليفة بن ناصر الذي أهداني بنديقة صيد قديمة، كما حرص على دعوة الامريكان الى فطور قطري في مجلسه في الغشامية باعتباره كبير المنطقة وأحد وجهاء البوكوارة.

\*\*\*\*\*

وفي شهر مارس عام ١٩٦٥ بعد أقل من ستة أشهر من العمل مع شركة المسح الجيو فيزيائي  
متنقلا في صحراء قطر، قدمت استقالتني والتحقت بجامعة دمشق في السنة الثالثة بكلية التجارة قسم إدارة  
الاعمال، وذلك فور وصول شهادتي الدراسية من كلية الاقتصاد التي استخرجها مشكورا بعد عناء،  
زميلي وصديقي غيث سالم سيف النصر.

## الملاحظات

link to Dr.Alkuwari PHD thesis : Oil Revenue of the Arabian Gulf -1  
impact on economic & Emirates :Pattrens of allocation  
development

[http://etheses.dur.ac.uk/8012/1/8012\\_5012.PDF?+UkUDh:CyT](http://etheses.dur.ac.uk/8012/1/8012_5012.PDF?+UkUDh:CyT)

٢- علي خليفه الكواري ، تنمية للضياع !! أم ضياع لفرص التنمية مركز دراسات الوحدة العربية  
، بيروت ، الطبعة الثاني ١٩٩٦ . ص ٢٠١-٢٢١ .

٣- أنظر

Anital L Burdatt Editor ,RECORD OF QATAR 1961-1965, Archieve Editions 1997  
: PP 152-160.

٤- المصدر السابق صفحة ٢٥٢-٢٥٥ .

٥- علي خليفه الكواري ، "رحم الله ناصر المسند الرجل الرمز" : أنظر كتابي "العين بصيرة" ،  
مئندى المعارف، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠١٣ ، صفحة ٤٣٣-٤٣٦ .

٦- أنظر نص رسالتي للشيخ احمد على الرابط التالي في موقعي

<http://dr-alkuwari.net/sites/akak/files/to-qatar-ruller-1960.pdf>